

عالم المفارقات الصارخة



في العالم الإسلامي ستة وخمسون جيشاً، تستورد أكبر كم من السلاح الذي تصدره الدول صانعة السلاح، على ألا توجه قطعة واحدة من هذا السلاح إلى الأعداء الحقيقيين الذين يغتصبون الأرض ويلوثون العرض ويدنسون المقدسات، فهذه الجيوش قد قتلت وتقتل من شعوبها أضعاف أضعاف ما قتلت من الأعداء الحقيقيين!

وغير الضحايا الذين يسقطون مخرجين بدمائهم والمساجين والمعتقلين الذين يئنون في القبضة الوحشية لهذه الجيوش، هناك الفقر والعوز الذي جعل العالم الذي يمتلك أضخم الثروات المادية تتراوح نسبة البطالة بين أبنائه ما بين 35% و50%، ونسبة السكان تحت خط الفقر ما بين 50% و70%

فثروات العالم الإسلامي تدير عجلات الصناعة الغربية، بينما البطالة تقتل الملكات والطاقات لدى الملايين في كل بلاد عالم الإسلام، التي تغلق فيها المصانع وتبنى فيها السجون!

إن الإله الواحد الأحد الذي نعبده قد كفل للإنسان - مطلق الإنسان - منذ بدء الخليقة حقوق الغذاء والشراب والملبس والمسكن "إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظلم فيها ولا تضحي" (طه - 119).

وفلسفة الدين الذي نتدين به تؤكد أن الأمن على هذه الحقوق المادية هو الشرط لقيام الدين، فصلاح الدنيا بالأمن على هذه الحقوق المادية، هو الشرط لتمكين الإنسان من صلاح الدين بالمعرفة والعبادة، وبعبارة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (450 - 505 هـ، - 1085 1111 م) فإن صلاح الدين لا يحصل إلا بانتظام الدنيا، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليها إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن.

ثم يستطرد حجة الإسلام فيقول: "فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعمل، وهما

وسليته إلى سعادة الآخرة؟!!

وإذا كان الله قد جعل عزة الإنسان من عزته وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" (المنافقون 8) وإذا كان سبحانه قد جعل الأرض - كل الأرض - للأنام، وأنعم على أمة الإسلام بالثروات المادية والمعنوية التي تحقق لها سعادة الدنيا والآخرة، وإذا كان سبحانه لا يرضى لعبادة الكفر، فإنه لا يرضى لهم الفقر الذي هو قرين الكفر، فإن تراث الإسلام قد جعل للمواطنة مضمونا اجتماعيا: "إن الغني في الغربية وطن، وإن الفقر في الوطن غربة، وما جاع فقير إلا بما متع به غني، وإن الله سائلهم عن ذلك".

ولتحقيق هذا المضمون الاجتماعي، قال الإمام ابن حزم الأندلسي - (384 - 456 هـ ، - 1064 994 م): "وفرض على الأغنياء، من أهل كل بلد، أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، ويمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة، ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل من ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه، وله أن يقاتل عن ذلك، فإن قُتل فعلى قاتله الدية، وإن قُتل المانع فإلى لعنة الله، لأنه مانع حقا، وهو طائفة باغية، ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق".